ثبوت هلال رمضان بين الرواية والشهادة:

بين رأي الشيخ محمد باي الكنتي، وفتوى الشيخ محمد الطاهر بن عاشور

إعداد الطالب: مختار بن جعفري
طالب دكتوراه باحث بجامعة أدرار.

ملخص البحث:

وردت أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم تتعلق بثبوت هلال رمضان, منها ما نص على قبوله صلى الله عليه وسلم خبر الواحد للأمر بالصوم, وبعضها صرح باشتراط شهادة العدلين, وانبنى عليه الخلاف في ثبوته: هل هو من قبيل الشهادة أو الرواية؟, وترتب على ذلك اختلافهم في ثبوته, انتصر الشيخ محمد باي الكنتي لقبول خبر الواحد في ثبوته ونقله, وخالفه الإمام محمد الطاهر بن عاشور من خلال فتوى صدرت عنه؛ نص على الخلاف في الثبوت الخاص, وأن المذهب في الثبوت العام اعتباره من قبيل الشهادة, ما يعني اشتراط العدلين أو الاستفاضة, وما سلكته بلادنا الجزائر من تشكيل اللجان واعتماد التصريح الرسمي يعكس اعتماد الرأي الثاني.

Abstract:

Many Hadiths of the prophet Mohamed (peace be upon him) have stated the certitude of the new moon of Ramadan. Some of these hadiths proclaimed the approval of the prophet in that one can declare fasting; some others drew up the stipulation of the testimony of two rightful (fair-minded) men. As a result, a disagreement has been made: Is it testimony ornarrating? Consequentl, scholars disputed about the certitude of the new moon. Opposing Sheikh Mohamed Bay El-Kountiwho prevailed in accepting one's report (narrating), El-Imam Mohamed Tahar Ben Achour, through his legal opinion (fatwa), stated that the disagreement is in the private certitude. However, the public certitude in the doctrine is considered a testimony, i.e. stipulating the two rightful men or thoroughness. In Algeria, the formation of special committees and the establishment of official declaration reflect the adoption of the second opinion.

مقدمة:

كان مذهب الإمام مالك رحمه الله منذ نشأته وتأسيسه مذهباً يستوعب الآراء, وتتسع قواعده لاحتواء الخلاف, ولم يجد أتباعه في أي عصر من العصور غضاضة في الاجتهاد ولو أفضى إلى مخالفة رأي الإمام نفسه, وهو ما أكسبه ثراء في الفروع, وتنوعا في الآراء, وحسن توجيه لقواعد الاستنباط, ودراسة للفروع والجزئيات وفق ما استجد من أحداث, وما تغير من ظروف لها بالغ التأثير على الفتوى, لكن ذلك أساسه إعادة النظر في الأدلة, وحسن التوظيف للقواعد, ومن المسائل الفقهية التي تبقى ميدانا خصبا للاجتهاد كلما استجدت الوسائل وتغيرت المعطيات مسألة ثبوت هلال رمضان بما يترتب عليه دخول الشهر والتزام صيامه, فقد اختلف العلماء في اعتبارها من قبيل الشهادة فلا يقبل فيها إلا نقل العدلين أو الجماعة المستفيضة, أو من قبيل الخبر فيقبل فيها نقل العدل. وبتطور وسائل التواصل هل يعتبر النقل بواسطتها أم لا بد من المشافهة؟

ولقد عني العلماء بالتأصيل لما استجد من هذه الوسائل انطلاقا من نصوص الشرع وقواعد المذهب, واضعين الضوابط الضامنة للتثبت في النقل والتَّبَيُّن في الناقل, وفي فتاواهم وآرائهم الدربة للباحث على طريقة التأصيل وحسن التنزيل, وهو ما دفعني للوقوف على الفتوى الصادرة من عالمين معاصرين تقارب زمن صدور رأيهما في ثبوت الهلال, وفيما يلي عرض للمسألة بأدلتها وتوجيهاتها وسبب الاختلاف فيها.

الإشكالية: شد انتباهي وأنا بصدد تحقيق جزء من كتاب السنن المبين للشيخ محمد باي بن عمر(1282-1348هـ = 1865-1927م) أثناء حديثه عما يثبت به هلال رمضان[1], لأقف بعد ذلك على فتوى الشيخ محمد الطاهر بن

1 – السنن المبين من كلام سيد المرسلين, تحقيق يحي ولد سيد احمد, ط(الجزائر, دار المعرفة, 2011م) 6أجزاء, ج4ص161.

عاشور (1296- 1393هـ = 1879- 1973م) التي صدرت في 14 شعبان 1355هـ / 30 أكتوبر 1936م[1] يؤصل فيها للخلاف؛ ما يعني أن المسألة طرأ عليها من المستجدات في وسائل النقل ما اقتضى إثارتها من جديد, خصوصاً أن الشيخ باي نقل فيها الخلاف بين الشيخ عليش, ومحمد يحي الولاتي, فرأيت أن الوقوف على الفتوى وتحريرها من خلال الشيخين الجليلين- أعني محمد باي وابن عاشور- له أهميته في بيان أبعاد المسألة ومُتمسَّكها, انطلاقا من سؤالين محوريين: ما هو سبب الخلاف في المسألة؟, وما هي الحيثيات التي بنى عليها كل من الشيخين فتواه حتى أثمر ذلك اختلافا في الحكم رغم أنهما مالكيان, ومن قطر المغرب العربي الذي يعتمد المذهب المالكي في العمل؟.

وفق الخطة الآتية:

مقدمة

المطلب الأول: ترجمة وجيزة للشيخ محمد باي بن عمر الكنتي

المطلب الثاني: ترجمة وجيزة للشيخ محمد الطاهر بن عاشور

المطلب الثالث: عرض المسألة

المطلب الرابع: عرض الشيخين لمسألة نقل ثبوت الهلال

خاتمة

المطب الأول: ترجمة وجيزة للشيخ محمد باي بن عمر الكنتي [2](1282-1348هـ=1865-1927م)

---

1 - ينظر نص الفتوى كاملا في: محمد الطاهر بن عاشور, فتاوى الشيخ الإمام محمد الطاهر بن عاشور, تحقيق محمد بوزغيبة, ط1(دبي, مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث, 1425هـ- 2004م) جزء, ص303-311.

2 - ينظر: سيدي محمد بن بادي الكنتي, التعريف بالشيخ باي الكنتي, ورقة مخطوطة, مكتبة هيدة الكنتي أدرار. أبو محمد سعيد هرماس, طبقات المالكية الجزائريين خلال المائة الهجرية الأخيرة, ط1(غارداية, دار صبحي للطباعة والنشر, 2013م) ص33. الشيخ باي الكنتي, السنن المبين, تحقيق يحي ولد سيد احمد, ج1ص26-36. الشيخ باي الكنتي, السنن المبين بتحقيق مالك كرشوش والشيخ حيمد الكنتي, ط1(الجزائر, مركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث, 1432هـ-2011م) 6أجزاء, ج1ص39-61.

لحد الآن لم تحظ حياة الشيخ باي الكنتي العلمية والإصلاحية بحظها في الدراسة كون كثير من تراث آل كنتة ما زال طي المخطوطات والرفوف, وفيما يلي تجلية لبعض جوانب حياته تحصيلا وتصنيفا مما جادت به أيدي المحققين لموسوعته في شرح السنة على الأحاديث التي جمعها الإمام المقري في كتابه عمل من طب لمن حب.

الفرع الأول: ميلاده:

هو سيدي محمد بن الشيخ سيدي اعمر بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكبير الكنتي, نسبة لزاوية كنتة الدائرة المعروفة بمنطقة توات في ولاية أدرار بالجنوب الجزائري, كثيراً ما يكتب هو نفسه اسمه هكذا: محمد الصغير عرف بباي.[1] يرجع نسبه المعروف المحفوظ إلى عقبة بن نافع الفهري القرشي.[2]

ولد عام 1282هـ/ 1865م, وفي ترجمة الأستاذ مالك كرشوش: ولد ما بين 1284 و 1285هـ .[3] وعن مكان ولادته الذي أغفله كثير من المترجمين له, جاء في محاضرة عقبة كنته:(كان ميلاده رحمه الله حيث توفي أبوه في مكان يدعى "اتليه" تابع لولاية كيدال شمالي مالي, تبعد عن الحدود المالية الجزائرية بحوالي 300 كم)[4].

والداه: والده العلامة سيدي عمر بن سيدي محمد, ووالدته كانت جارية اسْتَسَرَّ بها الشيخ سيدي عمر فأنجب هذا الولد الذي كانت بركته على جميع

1 – الشيخ باي الكنتي, السنن المبين, تحقيق يحي ولد سيد احمد, ج1ص26.

2 – عقبة كنته عابدين بن عبد الله, ترجمة محمد باي الكنتي, محاضرة من 08 صفحات, ألقيت بملتقى أعلام قبيلة كنتة, ببلدية زاوية كنتة عام 2011. ص1.

3 – الشيخ باي الكنتي, السنن المبين, تحقيق يحي ولد سيد احمد, ج1ص26. الشيخ باي الكنتي, السنن المبين بتحقيق مالك كرشوش, ج1ص41.

4 – عقبة كنته, ترجمة محمد باي, ص1

المسلمين لا سيما على هذه المنطقة الصحراوية[1]. واسم أمه كما ضبطه عقبة كنته: سَيْسًّا[2]

الفرع الثاني: طلبه للعلم

لا تكاد تختلف سيرة الشيخ محمد باي عما درج عليه أسلافه وأقرانه ومن جاء بعده من سكان الصحراء الكبرى, خصوصا من حباهم الله سبحانه بأن ولدوا في بيت علم وفضل يستوي فيه الرجال والنساء في تلقيهم لمبادئ العلوم وأساسياتها على والديهم وأقاربهم من العلماء والمربين, لذلك يجمع من ترجم له أن أسرته أحاطته بالرعاية والاهتمام من صباه (فدرس على الشيخ باب أحمد بن الشيخ سيد المختار الكبير, ووالده الشيخ سيدي اعمر, وأخيه الأكبر سيدي محمد الملقب باب الزين)[3], وللشيخ باي إجازة في الحديث من العلامة التواتي الشيخ حمزة الفلاني القبلاوي, وقد أورد نصها كاملا الشيخ محمد باي بلعالم في كتابه: قبيلة فلان في الماضي والحاضر.[4] وكانت له مراسلات مع بكة بن إبراهيم الهقاري, وعلماء فلان بأقبلي, والشيخ أبي الأعراف, والشيخين شب وأماقر الشنقيطيين, ومحمد المختار بن لفاد, وسيدي عمر بن سيدي علي الكنتي.[5] ويبين تلميذه محمد بن بادي شدة حرصه على الطلب وملازمته لمطالعة الكتب قائلا:(صحبته أكثر من عشرين سنة سفرا وحضرا فما رأيته قط من يوم إلا وهو يطالع في تحصيل العلم نظرا, لا تكاد تفوته ساعة خالية من مطالعة فائدة.وربما كنا على الراحلة فأقرأ له الكتاب,

1 – السنن المبين بتحقيق مالك كرشوش, ج1ص40– 41.

2 – عقبة كنته, ترجمة باي الكنتي, ص1.

3 – الشيخ باي الكنتي, السنن المبين, تحقيق يحي ولد سيد احمد, ج1ص26

4 – محمد باي بلعالم, قبيلة فلان بين الماضي والحاضر وما لها من العلوم والمعرفة والمآثر, (الجزائر, مطبعة دار هومه, 2004م) جزء, ص250– 252.

5 – السنن المبين بتحقيق مالك كرشوش, ج1ص45.

وإذا نزلنا بعد العشاء أو الهاجرة أوقد النار فأخذه كذلك, وفي الصباح أخذه كذلك حتى ننام عنه كلنا, هذا ديدنه)[1].

الفرع الثالث: مكانته العلمية

(ترجم له تلميذه الشيخ سيدي محمد بن بادي قال: هو شيخنا شمس الضحى وقطب الرحى في فني المعقول والمنقول, الجامع بين الشريعة والحقيقة في طريقة الوصول, الذي لا تأخذه في الله لومة لائم, ولا يقوم معه من الضلال والبدع قائم, المتقن لعوالم الكتاب والسنة, ومذاهب الراسخين من الأئمة, جدد في العلوم, وأعاد وصنف فأجاد وأفاد, أنفق أوقات عمره في تحصيل العلم وتعليمه, وإحياء دين النبي صلى الله عليه وسلم وتعميمه, حتى قبضه الله على إحياء السنة الغراء, تاركا في كل فن علما للاهتداء)[2]. وقد صرح بعض المترجمين له أنه بلغ درجة الاجتهاد بشهادة معاصريه مع التزامه بأصول مذهبه وفروعه.[3] وهذا ما يؤكده ما التزمه في الفتوى مما صرح به تلميذه محمد بن بادي:(وكان لا يفتي إلا بمشهور مذهب مالك ويحض على ذلك جميع معاصريه ويقول: إن الخروج عن مشهور المذهب قبل زماننا ممن له حظ وافر من العلم مذهبة للدين والعرض, فكيف بزماننا الذي كثر فيه الجهل, فمن أراد النجاة فعليه التمسك بمشهور المذهب....)[4] وهي مكانة أطلقت ألسنة العلماء والطلبة والشعراء بالثناء عليه, ودفعت بهم إلى أن يقصدوه في محله لزيارته ومجالسته والاستفادة من علومه ومعارفه. (قال عنه مولاي أحمد بن بابير التنبكتي في كتابه السعادة الأبدية في علماء تنبكتو البهية: كان رحمه الله عالما عاملا تقيا صوفيا زاهدا ورعا, عالما, لم يعص الله بجارحة من الجوارح السبعة مذ صار مكلفا إلى أن توفي, حافظا متفننا عادلا.... وقد وفد

1 – سيدي محمد بن بادي, التعريف بالشيخ محمد باي, ورقة مخطوطة بمكتبة هيدة الكنتي, وجه.

2 – الشيخ باي الكنتي, السنن المبين, تحقيق يحي ولد سيد احمد, ج1ص26.

3 – ينظر: عقبة كنته, ترجمة محمد باي, ص3.

4 – سيدي محمد بن بادي, التعريف بالشيخ محمد باي, ورقة مخطوطة, وجه.

على مخيمه بأدغاغ العلماء وطلاب العلم وذوو الحاجات والشعراء, الذين خلدوا مآثره بقصائد رائعة)[1]. وفي بعض تراجمه:(والشيخ محمد باي بن عمر له حافظة قوية فهو يحفظ أو يكاد الكتب الستة والرسالة والمختصر ولامية الزقاق والتحفة في الأحكام والأقضية, والرحبية في المواريث, والورقات, وجمع الجوامع, وقطر الندى والألفية, ولامية الأفعال, والأخضري في المنطق, وغيرها من المتون والمقررات العلمية بالإضافة إلى ذكائه الوقاد. ومن آثاره منظومة في القواعد الفقهية المالكية)[2]. ومما نقله في ذلك مالك كرشوش:(وقال الأرواني: ومنهم شيخ الشيوخ باي, كان رحمه الله عالما عاملا تقيا صوفيا زاهدا ورعا, ... حافظا متفننا عادلا ليس له مثيل في العدالة).[3]

الفرع الرابع: آثاره ووفاته

أسهم تفرغ الشيخ للتعليم وتفانيه في الجلوس للطلبة بمدرسته التي أسسها لهذا الغرض, وعرفت باسم الوادي الذي بنيت بحافته–" زاوية أتليا"– في تكوين طلبة مبرزين, وتخريج علماء متضلعين من مختلف البلدان, يضاف لذلك البرنامج الثري والمتنوع الذي كان يستوعب أزيد من عشر ساعات يوميا, وهو ما يكشف عنه عقبة كنته قائلا:(كان يخرج إلى المسجد من سدس الليل الأخير إلى الهاجرة, ليرجع إليه بعد القيلولة مباشرة إلى ما بعد صلاة العشاء, جل عمله اليومي مباشرة التعليم في الأغلب بنفسه أو الإشراف على المعلمين وفض النزاعات واستقبال الضيوف والوافدين...)[4] أخذ عنه كثيرون, من بينهم – من منطقة الهقار–: الشيخ البكاي العزاوي دفين تيت غرب تامنراست [5], (ومحمد عبد الله بن الخرشي

1 – الشيخ باي الكنتي, السنن المبين, تحقيق يحي ولد سيد احمد, ج1ص26–27.

2 – سعيد هرماس, طبقات المالكية الجزائريين خلال المائة الهجرية الأخيرة, ص33.

3 – السنن المبين بتحقيق مالك كرشوش, ج1ص48.

4 – عقبة كنته, ترجمة باي الكنتي, ص8.

5 – يحي ولد سيد احمد, ديوان الصحراء الكبرى, ج1ص112.

العلوي, ومن توات: الشيخ حمزة بن مالك الفلاني القبلاوي الذي أخذ عنه الأوراد القادرية, والشيخ باي أخذ عنه رواية الجامع الصحيح للبخاري, ومن منطقة تيديكلت من إينغر: الشيخ الحاج محمد سيدي علي بن جلول العزاوي, وهو الذي كان الواسطة بين الشيخ باي والشيخ حمزة بن مالك الفلاني)[1].

وممن تخرج عليه أيضا: الشيخ سيدي محمد البكاي بن سيدي الأمين الكنتي الملقب أمك, والشيخ محمد بن أمبارك بن سيدي اعمر الأحبوسي الجعفري, والشيخ محمد بن يونس السوقي, والشيخ محمد بن إبراهيم الدرعي, والشيخ أحمد بن الجنيد السوقي..[2] وغيرهم. (ومنهم: ابن أخته محمد الشيخ سيدي بن بادي الذي أخذ عنه علوما شتى ولازمه وخدمه حتى توفي, وقد نص هو نفسه أنه قرأ عليه الفقه قراءة إتقان وبحث ومناظرة على نصوصه المتداولة, وقواعد الفقه على نصوصها, وفن الأصول, وفن المعاني والبيان والبديع, وفن النحو بكتبه, وأكثر السنة من الحديث قراءة وإقراء, كانت مدة طلبه أزيد من خمس عشرة سنة حتى كان الشيخ يقول في مجلس علمه: من أراد منكم العلم فليصحب محمد بادي).[3]

ومحمد بن محمد بن عثمان الفلاني, وكان من طلبته الناجحين, له قصيدة رائعة في رثائه.[4] ومولاي أحمد الطاهري السباعي [5].

وقد عدهم الدكتور مالك كرشوش 42 طالباً وختمها بقوله: وعامة آل السوق أخذوا عنه إما العلوم الشرعية أو الأوراد.[6] كانت له مراسلات عديدة مع

---

1 – الشيخ باي الكنتي, السنن المبين, تحقيق يحي ولد سيد احمد, ج1ص27. وينظر: عقبة كنته, ترجمة الشيخ باي بن عمر, ص7.

2 – الشيخ باي الكنتي, السنن المبين, تحقيق يحي ولد سيد احمد, ج1ص27.

3 – يحي ولد سيد احمد, ديوان الصحراء الكبرى, ج1ص135.

4 – يحي ولد سيد احمد, ديوان الصحراء الكبرى, ج1ص141.

5 – يحي ولد سيد احمد, ديوان الصحراء الكبرى, ج1ص109 و134.

6 – السنن المبين بتحقيق مالك كرشوش, ج1ص59– 61.

معاصريه من علماء وسلاطين, وربطته علاقة قوية مع السلطان موسى آك أماستن أمين عقال الهقار[1].

وما تمتع به الشيخ باي بن عمر رحمه الله من موسوعية في العلم ومن قوة في الاستحضار أكسباه قلماً سيالا, يضاف إليه انحداره من عائلة آل كنتة التي اشتهرت بأنها عائلة علم وتأليف, وهما أساسان أكدهما المترجمون له مَعْلَمَيْنِ على كثرة مصنفاته. يقول يحي ولد سيد أحمد (ينتمي الشيخ باي نسبا ومثاقفة إلى مدرسة الشيخ سيد المختار الكنتي والد جده الذي عرف بغزارة التأليف والموسوعية والتنوع, وهو الأمر نفسه الذي نجده في أبنائه وأحفاده وتلاميذه أينما حلوا. ... لذلك لا يستغرب من كثرة مصنفاته, ومن تميزها بإتقان التصنيف وغزارة العلم, فقد ترك الشيخ باي مؤلفات غاية في الإتقان والفائدة)[2], وتكاد تتفق كلمة المترجمين له على إحصاء مصنفاته ونسبتها إليه وهي: (الفتاوى في مجلدين, شرح الأحاديث المقرية في مجلدات وهو أشهرها واسمه السنن المبين, تكملة شرح احمرار المختار بن بونا الجكني النحوي الذي وضع ألفية في النحو سميت الاحمرار, تكملة شرح مبطلات الصلاة, فتح البصيرة في أحكام الدين المنيرة في نحو كراسة, تكملة على شرح ابن بونة في النحو والصرف, في مجلد, شرح مختصر الأخضري في العبادات, مؤلف في أصول قبيلة كنتة, مؤلف في الرجال, يقال إنه تكملة للديباج, شرح نظم الورقات للشيخ سيد المختار الكبير, والأصح أنه لتلميذه سيدي محمد بن بادي).[3]

---

1 – الشيخ باي الكنتي, السنن المبين, تحقيق يحي ولد سيد احمد, ج1ص27. عقبة كنتة, ترجمة الشيخ باي بن عمر, ص5.

2 – الشيخ باي الكنتي, السنن المبين, تحقيق يحي ولد سيد احمد, ج1ص28.

3 – الشيخ باي الكنتي, السنن المبين, تحقيق يحي ولد سيد احمد, ج1ص28. السنن المبين بتحقيق مالك كرشوش, ج1ص59– 60. عقبة كنته, ترجمة الشيخ باي بن عمر, ص5.

توفي الشيخ باي رحمه الله عام 1348هـ/ 1927م عن ثلاث وستين سنة, يوم الخميس التاسع والعشرين من شهر ربيع الثاني.[1] وكانت وفاته بآبرك تيدقار آغبو كيدال الجمهورية المالية[2], ولما توفي رثاه العلماء والشعراء بقصائد جزلة تنم عن قدر الفقيد ومكانته السامقة وعلمه وورعه وكرمه. منهم أحمد بن موسى الخزرجي السوقي وغيره.[3]

المطلب الثاني: ترجمة وجيزة للشيخ محمد الطاهر بن عاشور (1296-1393هـ=1879-1973م)[4]:

أفردت مصنفات في الترجمة له وبيان مكانته العلمية, ودراسة منهجه من خلال مصنفاته, لذا سألتزم الإيجاز في ترجمته بما يقتضيه المقام.

الفرع الأول: ميلاده:

أحد أعلام جامع الزيتونة, ومن أشهر من أنجبتهم الجمهورية التونسية, ومن عظمائهم المجددين. حياته المديدة التي زادت على 90 عامًا كانت جهادًا في طلب العلم، وجهادا في كسر وتحطيم أطواق الجمود والتقليد التي قيدت العقل المسلم عن التفاعل مع النصوص الشرعية, ومعطيات الواقع.

---

1 - السنن المبين بتحقيق مالك كرشوش, ج1ص41. الشيخ باي الكنتي, السنن المبين, تحقيق يحي ولد سيد احمد, ج1ص26

2 - عقبة كنته, ترجمة الشيخ باي بن عمر, ص8.

3 - الشيخ باي الكنتي, السنن المبين, تحقيق يحي ولد سيد احمد, ج1ص26-36.

4 - ينظر: بلقاسم الغالي, شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره, ط1(بيروت, دار ابن حزم, 1417هـ - 1997م) جزء, محمد الحبيب ابن خوجة, شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور, ط(قطر, وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية, 1425هـ - 2004م) 3أجزاء, ج1. محمد الطاهر بن عاشور, كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ, تحقيق طه بن علي بوسريح التونسي, ط4(تونس, دار سحنون للنشر والتوزيع, 1432هـ-2011م) جزء, مقدمة المحقق, ص7- 12. محمد الطاهر بن عاشور, فتاوى الشيخ الإمام محمد الطاهر بن عاشور, ص11-15. خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي, الأعلام, ط15(بيروت, دار العلم للملايين, 2002م) 8أجزاء, ج6ص174- 175.

أحدثت آراؤه نهضة في علوم الشريعة والتفسير والتربية والتعليم والإصلاح، وكان لها أثرها البالغ في استمرار "الزيتونة" في العطاء والريادة.

هو محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور, وأمه فاطمة بنت الشيخ الوزير محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب بن محمد بن محمد بوعتور, ولد بتونس في جمادى الأولى 1296هـ سبتمبر 1879م بقصر جده لأمه بالمرسى من ضواحي عاصمة تونس. في أسرة علمية عريقة تمتد أصولها إلى بلاد الأندلس.[1]

أقبل وهو في السادسة من عمره على مسجد سيدي أبي حديد فحفظ القرآن الكريم ورتله على الشيخ المقرئ محمد الخياري, وحفظ مجموعة من المتون العلمية كابن عاشر والرسالة وقطر الندى وغيرها، وتعلم اللغة الفرنسية، والتحق بجامع الزيتونة سنة (1310هـ = 1892م) وهو في الـ14 من عمره، فدرس علوم الزيتونة ونبغ فيها، وأظهر همة عالية في التحصيل، وساعده على ذلك ذكاؤه النادر والبيئة العلمية الدينية التي نشأ فيها، وشيوخه العظام في الزيتونة, والعناية المتميزة من الشيخ سيدي اعمر بن الشيخ[2].

الفرع الثاني: شيوخه:

من أبرز شيوخه: 1- الشيخ عبد القادر التميمي الذي تلقى عليه فن التجويد وعلم القراءات.

2- الشيخ محمد النخلي الذي درس عليه اللغة العربية من خلال قطر الندى وشرح المكودي على الألفية ومقدمة الإعراب ومختصر السعد في البلاغة, والمنطق من خلال كتاب التهذيب, والأصول من خلال شرح الحطاب للورقات,

1 – ينظر: بلقاسم الغالي, شيخ الجامع الأعظم, ص37. ابن خوجة, شيخ الإسلام الإمام الأكبر, ج1ص153. محمد الطاهر بن عاشور, كشف المغطى, ص7.

2 – ابن خوجة, شيخ الإسلام الإمام الأكبر, ج1ص154. بلقاسم الغالي, شيخ الجامع الأعظم, ص37.

وتنقيح الفصول, والفقه من خلال شرح ميارة على المرشد المعين, وكفاية الطالب الرباني على الرسالة.

3- محمد الصالح الشريف الذي درس عليه الأزهرية والقطر وشرح المكودي في اللغة, والسلم في المنطق, ومختصر السعد على العقائد النسفية في العقائد والتاودي في الفقه.

4- الشيخ عمر ابن عاشور الذي درس عليه لامية الأفعال بشروحها في الصرف, وتعليق الدماميني على مغني ابن هشام, ومختصر السعد في البلاغة وكتاب الدردير في الفقه والدرة في الفرائض.

5- الشيخ محمد النجار الشريف الذي درس عليه شرح المكودي في النحو ومختصر السعد في البلاغة والمواقف في علم الكلام والبيقونية في المصطلح.

6- الشيخ محمد الطاهر جعفر الذي درس عليه شرح المحلي على جمع الجوامع في الأصول والشهاب الخفاجي على الشفا في الشمائل.

7- الشيخ جمال الدين والشيخ محمد الصالح الشاهد اللذين درس عليهما كتاب الدردير في الفقه. وكتاب القطر في النحو على الأول.

8- الشيخ محمد العربي الدرعي الذي درس عليه كتاب كفاية الطالب الرباني في الفقه.

9- الشيخ سالم بوحاجب الذي درس عليه صحيح البخاري بشرح القسطلاني وأجزاء من شرح الزرقاني على الموطأ.

10- جده الشيخ محمد العزيز بوعتور الذي تلقى عليه جملة من أمهات الكتب, ودون له بخط يده مجموعا فريدا يحوي الكثير من عيون الأدب وروائع الحكم, وبدائع من النثر والنظم, ومصنفات في الحديث والبلاغة, وفتح له خزانة كتبه .[1]

الفرع الثالث: نشاطاته العلمية والدعوية:

---

[1] - ابن خوجة, شيخ الإسلام الإمام الأكبر, ج1ص155- 157. ابن عاشور, كشف المغطى, ص7-8. بلقاسم الغالي, شيخ الجامع الأعظم, ص38. فقد عدد الفنون التي درسها والمتون التي استوعبها فيها.

تخرج الطاهر في الزيتونة عام (1317هـ = 1896م)، والتحق بسلك التدريس في هذا الجامع العريق، ولم تمض إلا سنوات قليلة حتى عين مدرسًا من الطبقة الأولى بعد اجتياز اختبارها سنة (1324هـ = 1903م).

وكان رحمه الله قد اختير للتدريس في المدرسة الصادقية سنة (1321هـ = 1900م)، وتم اختياره أيضا في لجنة إصلاح التعليم الأولى بالزيتونة في (صفر 1328 هـ = 1910م)، ولجنة الإصلاح الثانية (1342 هـ = 1924م)، ثم اختير شيخا لجامع الزيتونة في (1351 هـ = 1932م)، كما كان شيخ الإسلام المالكي؛ فكان أول شيوخ الزيتونة الذين جمعوا بين هذين المنصبين، ولكنه لم يلبث أن استقال من المشيخة بعد سنة ونصف بسبب العراقيل التي وضعت أمام خططه لإصلاح الزيتونة، وبسبب اصطدامه ببعض الشيوخ عندما عزم على إصلاح التعليم في الزيتونة.

أعيد تعينه شيخا لجامع الزيتونة سنة (1945م حتى عام 1952م)، ثم عميدا للجامعة الزيتونية (1956م حتى 1960م) وفي هذه المرة أدخل إصلاحات كبيرة في نظام التعليم الزيتوني؛ فارتفع عدد الطلاب الزيتونيين، وزادت عدد المعاهد التعليمية.

كما عين قاضيا مالكيا عام 1911م ثم مفتيا عام 1924م, وانتخب عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة عام 1952م, ثم عضوا بالمجمع العلمي العربي بدمشق عام 1955م, وله مشاركات غدة في الملتقيات والمؤتمرات العربية والدولية.[1]

الفرع الرابع: آثاره ووفاته:

تنوعت آثار الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بين مشاركات علمية في الملتقيات والمؤتمرات, وكتابات في الصحف والمجلات, ودفعات تخرجت عليه من الجامع الزيتوني, ومواقف إصلاحية في المجالات العلمية والدعوية والتربوية

[1] – ابن خوجة, شيخ الإسلام الإمام الأكبر, ج1ص164– 169. ابن عاشور, كشف المغطى, ص8–9. بلقاسم الغالي, شيخ الجامع الأعظم, ص56–63.

والإصلاحية, ومصنفات في مختلف الفنون عرفت بتميزها وتفردها أسلوبا ومحتوى, ومن أهم مؤلفاته:

تفسير التحرير والتنوير في ثلاثين جزءا, وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية الذي يعتبر مصنفا فريدا في مجاله, كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ, النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح, أصول النظام الاجتماعي, .. وقد أوصلها المترجمون له إلى ما يقارب أربعين مصنفا في العلوم اللغوية والشرعية والاجتماعية.[1]

توفي الطاهر بن عاشور في (13 رجب 1393 هـ = 12 أغسطس 1973م) بعد حياة حافلة بالعلم والإصلاح والتجديد على مستوى تونس والعالم الإسلامي, ودفن في مقبرة الجلاز.[2]

المطلب الثالث: عرض المسألة: الواقف على فتوى الشيخين – أعني محمد باي الكنتي وابن عاشور– يتبين له أن لهما رأيين مختلفين في مسألة ثبوت الهلال, وهو ما يدعو للوقوف على الخلاف في القاعدة التي بنى عليها كل من الشيخين فتواه: هل نقل ثبوت الهلال من قبل الشهادة أو الرواية؟ وفيما يلي آراء العلماء فيها وسبب اختلافهم.

الفرع الأول: أقوال العلماء في مسألة ثبوت الهلال هل هو من قبيل الرواية أو الشهادة؟:

ساق ابن رشد الخلاف في المسألة فقال: (وأما طريق الخبر فإنهم اختلفوا في عدد المخبرين الذين يجب قبول خبرهم عن الرؤية في صفتهم. فأما مالك فقال: إنه لا يجوز أن يصام ولا يفطر بأقل من شهادة رجلين عدلين. وقال الشافعي في رواية المزني: إنه يصام بشهادة رجل واحد على الرؤية ولا يفطر بأقل من شهادة رجلين. وقال أبو حنيفة: إن كانت السماء مغيمة قبل واحد وإن كانت صاحية

1 – بلقاسم الغالي, شيخ الجامع الأعظم, ص68–70. وينظر: ابن عاشور, كشف المغطى, ص11–12.

2 – بلقاسم الغالي, شيخ الجامع الأعظم, ص68. ابن عاشور, كشف المغطى, ص12.

بمصر كبير لم يقبل إلا شهادة الجم الغفير. وروي عنه أنه تقبل شهادة عدلين إذا كانت السماء مصحية. وقد روي عن مالك أنه لا تقبل شهادة الشاهدين إلا إذا كانت السماء مغيمة,..)[1] وذكر القسطلاني أن آخر رأيي الإمام الشافعي اشتراط العدلين, وإن كان المشهور في مذهبه قوله الأول:(لكن آخر قوليه أنه لا بد من عدلين, لكن قال الصميري: إن صح أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل شهادة الأعرابي وحده, وشهادة ابن عمر وحده, قُبِلَ خبر الواحد, وإلا فلا يقبل أقل من اثنين, وقد صح كل منهما. وعندي أن مذهب الشافعي قبول الواحد, وإنما رجع إلى الاثنين بالقياس؛ لما لم يثبت عنده في المسألة سنة).[2]

الفرع الثاني: سبب الاختلاف في المسألة:

تكاد تتفق كلمة الدارسين في أن مرجع الخلاف في المسألة الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم والتي نص بعضها على اشتراط العدلين, وبعضها على نقل العدل, ما ترتب عليه اختلافهم في اعتبار نقل خبر ثبوت الهلال هل هو من قبيل الشهادة أو الرواية؟ قال ابن رشد: (وسبب اختلافهم اختلاف الآثار في هذا الباب, وتردد الخبر في ذلك بين أن يكون من باب الشهادة أو من باب العمل

1 – أبو الوليد ابن رشد, بداية المجتهد ونهاية المقتصد, تحقيق فريد عبد العزيز الجندي, ط(القاهرة, دار الحديث, 1425هـ– 2004م) مجلدان, ج2ص48. وينظر في آراء المذاهب: محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومي البابرتي, العناية شرح الهداية, ط(بيروت, دار الفكر, بدون) 10 أجزاء, ج2ص323. محمد بن عبد الله الخرشي المالكي, شرح مختصر خليل, ط(بيروت, دار الفكر, بدون) 8 أجزاء, ج2ص235. شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي, نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج, ط(بيروت, دار الفكر،1404هـ/1984م) 8 أجزاء, ج3ص152. موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي, المغني, ط(مصر, مكتبة القاهرة, 1388هـ – 1968م, دون) 10 أجزاء, ج3ص164.

2 – أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني, إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري, ط7(مصر, المطبعة الكبرى الأميرية، 1323 هـ) 10أجزاء, ج3ص356.

بالأحاديث التي لا يشترط فيها العدد)[1]. وجاء في الأشباه والنظائر: (الشهادة: ولا خلاف عندنا في اشتراط العدد فيها إلا في هلال رمضان, ففيه قولان: أصحهما عدم اشتراطه وقبول الواحد فيه, واختلف على هذا: هل هو جار مجرى الشهادة أو الرواية؟ قولان, أصحهما الأول).[2] وقد اعتبر بعض الباحثين المسألة من أفراد المذهب المالكي, وأرجع سبب ذلك لأمرين, قال:(وسبب انفراد المالكية في هذه المسألة يرجع إلى ما يلي:

1-تعارض بعض الآثار في ظاهرها, فمن ذلك ما ورد في حديث زيد بن الخطاب الذي يفهم منه اشتراط الشاهدين, وما وقع في حديث ابن عباس وابن عمر مما يدل على عدم اشتراطهما, وأن قول الواحد يكفي في ثبوت دخول الشهر ونقل خبره.

2-تردد القول في إثبات شهر رمضان بين الشهادة والرواية, فمن غلب عليه جانب الشهادة اشترط الإثنين قياساً على نصاب الشهادة في أحكام أخرى, ومن غلب عليه جانب الرواية لم يشترط الإثنين واكتفى بقول الواحد كالحال في رواية الحديث , فإنه لا يشترط في قبولها عدد).[3]

واعتبار مسألة ثبوت الهلال تطبيقاً وتفريعاً لما تردد بين الرواية والشهادة هو ما مثل به الإمام القرافي في أول فرق من كتابه الفروق الذي خصصه للفرق بين الشهادة والرواية, ونص على أن الترجيح لوجه منهما يتوقف على معضد من نص أو قياس, فقال:(... وَمُرَكَّبٌ مِنْ الشَّهَادَةِ وَالرِّوَايَةِ وَلَهُ صُوَرٌ أَحَدُهَا الْإِخْبَارُ عَنْ رُؤْيَةِ هِلَالِ رَمَضَانَ ... وَحَصَلَ الشَّبَهَانِ, فَجَرَى الْخِلَافُ وَأَمْكَنَ تَرْجِيحُ أَحَدِ

---

[1] – ابن رشد, بداية المجتهد, ج2ص48.

2 – عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي, الأشباه والنظائر, ط(بيروت, دار الكتب العلمية, 1403هـ)جزء واحد, ص390.

3 – عبد المجيد محمود الصلاحين, مفردات المذهب المالكي في العبادات دراسة مقارنة, ط1(بيروت, دار ابن حزم, 1426هـ- 2005م) مجلدان, ج2ص632-633.

الشَّبَهَيْنِ عَلَى الْآخَرِ، وَاتَّجَهَ الْفِقْهُ فِي الْمَذْهَبَيْنِ فَإِنْ عَضَّدَ أَحَدَ الشَّبَهَيْنِ حَدِيثٌ أَوْ قِيَاسٌ تَعَيَّنَ الْمَصِيرُ إلَيْهِ)[1].

الفرع الثالث: الآثار الواردة في المسألة:

يمكن تصنيف الأحاديث الواردة في المسألة إلى صنفين؛ ذلك أن بعضها تضمن قبول النبي صلى الله عليه وسلم خبر الواحد دون أن يسأل عن شاهد على ذلك, وبعضها يشترط شهادة العدلين.

الأول: ما يقتضي قبول الواحد في ثبوت الهلال ونقله, وفيه:

01- حديث ابن عباس رضي الله عنهما, قال:﴿ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ الْهِلَالَ. قَالَ: أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ نَعَمْ. قَالَ: يَا بِلَالُ أَذِّنْ فِي النَّاسِ أَنْ يَصُومُوا غَدًا ﴾.[2]

02- حديث ابن عمر رضي الله عنهما, قَالَ:﴿ تَرَاءَى النَّاسُ الْهِلَالَ, فَأَخْبَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي رَأَيْتُهُ, فَصَامَ, وَأَمَرَ النَّاسَ بِصِيَامِهِ ﴾.[3]

---

1 – شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد القرافي, أنوار البروق في أنواء الفروق, ط(بيروت, عالم الكتب, بدون) 4أجزاء, ج1ص8.

2 – أخرجه الترمذي في كتاب الصوم, باب الصوم بالشهادة, برقم691, وقال فيه: حديث ابن عباس فيه اختلاف. محمد بن عيسى, سنن الترمذي, تحقيق وتخريج أحمد محمد شاكر, ط2(مصر, شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركائه,1395هـ-1975م) 5أجزاء, ج3ص65. وأبو داوود في كتاب الصوم, باب شهادة الواحد على رؤية الهلال, برقم 2340. ص266. قال في بلوغ المرام: رَوَاهُ اَلْخَمْسَةُ, وَصَحَّحَهُ اِبْنُ خُزَيْمَةَ, وَابْنُ حِبَّانَ, وَرَجَّحَ النَّسَائِيُّ إرْسَالَهُ. أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني, بلوغ المرام من أدلة الأحكام, تصحيح وتعليق محمد حامد الفقي, ط(مصر, دار النهضة للطباعة والنشر, 1352هـ) جزء, كتاب الصيام, برقم674.ص131.

3 – أخرجه أبو داوود في كتاب الصوم, باب شهادة الواحد على رؤية الهلال, برقم 2342, ص267. وابن حبان في صحيحه في كتاب الصوم, باب رؤية الهلال, برقم 3447, قال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم. محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي, صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان, تحقيق : شعيب الأرنؤوط. ط2(بيروت, مؤسسة الرسالة, 1414 – 1993) 18 مجلدا, ج8ص131. وفي بلوغ المرام: رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ, وَصَحَّحَهُ اِبْنُ حِبَّانَ, وَالْحَاكِمُ. ابن حجر العسقلاني, بُلُوغُ اَلْمَرَامِ مِنْ أَدِلَّةِ اَلْأَحْكَامِ, كتاب الصيام, برقم673. ص131.

الثاني: ما يقتضي اشتراط العدلين, وفيه:

01- ما رواه أبو داوود عن حُسَيْن بْنُ الْحَارِثِ الْجَدَلِيّ أَنَّ أَمِيرَ مَكَّةَ خَطَبَ, ثُمَّ قَالَ:﴿ عَهِدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَنْسُكَ لِلرُّؤْيَةِ, فَإِنْ لَمْ نَرَهُ وَشَهِدَ شَاهِدَا عَدْلٍ نَسَكْنَا بِشَهَادَتِهِمَا, ثُمَّ قَالَ الْأَمِيرُ: إِنَّ فِيكُمْ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنِّي, وَشَهِدَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى رَجُلٍ, قَالَ الْحُسَيْنُ: فَقُلْتُ لِشَيْخٍ إِلَى جَنْبِي: مَنْ هَذَا الَّذِي أَوْمَأَ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ؟ قَالَ هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ. فَقَالَ: بِذَلِكَ أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴾.[1]

02- ما روي عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ خَطَبَ النَّاسَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي يُشَكُّ فِيهِ فَقَالَ:﴿ أَلَا إِنِّي جَالَسْتُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَاءَلْتُهُمْ وَإِنَّهُمْ حَدَّثُونِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ وَانْسُكُوا لَهَا فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا ثَلَاثِينَ فَإِنْ شَهِدَ شَاهِدَانِ فَصُومُوا وَأَفْطِرُوا ﴾[2].

المطلب الرابع: عرض الشيخين لمسألة ثبوت الهلال:

الفرع الأول: السياق الذي ورد فيه رأي الشيخ محمد باي في المسألة: أورد الشيخ محمد باي رأيه في المسألة أثناء شرحه للحديث:" صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ

---

1 – أخرجه أبو داوود في كتاب الصوم, باب شهادة رجلين على رؤية هلال شوال, برقم 2338. ص266.
والدارقطني في كتاب الصيام, باب الشهادة على رؤية الهلال, برقم2192, ج3ص119. وفي التلخيص الحبير: رواه أبو داود من حديث أبي مالك الأشجعي عن حسين بن الحارث أن الحارث بن حاطب أمير مكة. ورواه الدارقطني فقال إسناد متصل صحيح. ابن حجر العسقلاني, التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير, ط1(مؤسسة قرطبة, 1416هـ- 1995م) 4 أجزاء, كتاب الصيام, برقم878, ج2ص358.

2 – أخرجه النسائي في كتاب الصيام, بَابُ قَبُولِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ عَلَى هِلَالِ شَهْرِ رَمَضَانَ, برقم 2116. أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي, المجتبى من السنن, تحقيق عبد الفتاح أبي غدة, ط2(حلب, مكتب المطبوعات الإسلامية, 1406هـ – 1986م)9 أجزاء, ج4ص132.
وفي تلخيص الحبير: ورواه أحمد من هذا الوجه.. ورواه الدارقطني فقال إسناد متصل صحيح. أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني, التلخيص الحبير, برقم 877, ج2ص405.

فَإِنْ أُغْمِيَ عَلَيْكُمْ فَاقْدِرُوا لَهُ ثَلَاثِينَ"[1] حيث ساق آراء المذاهب فيما يثبت به هلال رمضان, وآراء علماء المذهب, ثم ما استجد من نوازل في المسألة كإيقاد النار وإطلاق البارود, ثم صرح برأيه في المسألة[2].

الفرع الثاني: السياق الذي ورد فيه رأي الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في المسألة[3]: جاءت فتوى الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في كتابه الفتاوى جواباً على سؤال وجه إليه نصه: نقل دخول شهر رمضان من بلد إلى آخر بوساطة الهاتف " التلفون" أو المذياع " الراديو" هل يثبت به الشهر أو لا ؟[4]

الفرع الثالث: الحيثيات التي بنى عليها الشيخ باي رأيه: 1- ساق – رحمه الله- خلاف الشافعية في المسألة انطلاقا مما أورده القسطلاني, وفيه:(يكتفى في ثبوت رمضان بعدل واحد يشهد عند القاضي... وهذا أشهر قولي الشافعي عند أصحابه وأصحهما, لكن آخر قوليه أنه لا بد من عدلين, لكن قال الصميري: إن صح أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل شهادة الأعرابي وحده, وشهادة ابن عمر وحده, قُبِلَ خبر الواحد, وإلا فلا يقبل أقل من اثنين, وقد صح كل منهما. وعندي أن مذهب الشافعي قبول الواحد, وإنما رجع إلى الاثنين بالقياس؛ لما لم يثبت عنده في المسألة سنة).[5] ثم أعقب الشيخ باي ذلك بقوله: " قلت: اختار هذا القول جماعة من علمائنا؛ لهذه الأحاديث, ولأن الإخبار عن الرؤية هو من باب الخبر, لا من باب الشهادة)[6]. وهو تصريح منه – رحمه الله- باختياره.

---

1 – أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصيام, باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال والفطر لرؤية الهلال وأنه إذا غم في أوله أو آخره أكملت عدة الشهر ثلاثين يوما, برقم1080. مسلم بن الحجاج, المسند الصحيح, تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي, ط1 (بيروت, دار إحياء التراث العربي, 1412هـ- 1991م) 5 أجزاء, ج2ص760.

2 – محمد باي الكنتي, السنن المبين, ج4ص161.

3 – ينظر النص الكامل لفتوى الشيخ في كتابه: الفتاوى, ص 303 .310

4 – ابن عاشور, الفتاوى, ص303.

5 – القسطلاني, إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري, ج3ص356.

6 – محمد باي الكنتي, السنن المبين, ج4ص157 –158.

2- أورد الخلاف في المذهب في ثبوت الهلال انطلاقا مما قرره الشيخ خليل في شرحه لكلام ابن الحاجب:(ويعرف رمضان بأمرين: أحدهما الرؤية: إما بالخبر المنتشر, أو بالشهادة على شرطها برجلين عدلين, كالفطر, والمواسم إن كان ثم معتنون بالشريعة, وإلا كفى الخبر)[1]. وفيه رأي ابن مسلمة بقبول شهادة رجل وامرأتين, وأشهب بقبول شهادة رجل وامرأة, ... وقول ابن عطاء الله: " وظاهر قول سحنون أنه لا بد من الشهادة بشرطها إن كان ثَمَّ حاكم أو لم يكن", فقد علق صاحب التوضيح على ذلك بقوله:(ومنشأ الخلاف اختلاف الأصوليين في أنه هل يخص العام ويقيد المطلق بالعرف أو لا؟)[2]

3- قال الشيخ محمد باي بعد نقل طويل من التوضيح: والظاهر ما لعبد الملك, لاستناده إلى الحديث, وقول الجمهور, ولأنه أحوط[3]. ورأي عبد الملك بن الماجشون ثبوت الهلال بعدل واحد مطلقا- سواء في الحاضرة حيث يوجد إمام أو قاض ومن يهتم بأمر الهلال وعدالة الشهود, أو في البادية حيث لا يوجد من يعتني بأمر الهلال-[4] وساق تعضيداً لهذا الرأي قول الأبي في الإكمال[5] والمواق في شرحه للمختصر[6] بالاكتفاء بخبر العدل فيمن لا اعتناء لهم بالهلال.

---

1 - خليل بن إسحاق, التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب, ضبط وتصحيح أحمد عبد الكريم نجيب, ط1(مصر, دار نجيبويه للطباعة والنشر, 1429هـ- 2008م) 9أجزاء, ج2ص378.

2 - ينظر: خليل بن إسحاق, التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب, ج2ص378-379.

3 - محمد باي الكنتي, السنن المبين, ج4ص159.

4 - ينظر: أبو عبد الله الحطاب, مواهب الجليل لشرح مختصر خليل, ضبط وتخريج زكريا عميرات, ط1(لبنان, دار الكتب العلمية, 1416هـ - 1995م) 8أجزاء, ج3ص284. أحمد بن البشير القلاوي الشنقيطي, مفيد العباد سواء العاكف فيه والباد, ط1(أبو ظبي, المجمع الثقافي, 1999م) جزء, ص531.

5 - ينظر: محمد بن خلفة الوشتاني أبو عبد الله الأبي, إكمال إكمال المعلم شرح صحيح مسلم, ط1 (بيروت, دار دار إحياء التراث العربي, 1412هـ- 1991م) 5 أجزاء, ج3ص220.

6 - أبو عبد الله محمد بن يوسف المواق, التاج والإكليل لمختصر خليل, بهامش شرح الحطاب, ج3ص280-282.

3- أورد الخلاف في المذهب: هل يكتفى بخبر الواحد عن الإمام والخبر المنتشر؟ وساق فيه قول الزرقاني في شرحه للمختصر والبناني في حاشيته عليه, حيث صرح البناني بنسبة كلا القولين للقائل به, فقال عن قبول خبر العدل فيمن لا اعتناء لهم بالهلال:(إذ هو قول أبي محمد, وحكاه عن أحمد بن ميسر, وصوبه ابن رشد, وابن يونس, ولم يحك اللخمي والباجي غيره", وقال عن الرأي الثاني – اشتراط العدلين- ومقابله لأبي عمران قال: لا يثبت بنقله إلا لأهله)[1].

الفرع الرابع: الحيثيات التي بنى عليها الشيخ محمد الطاهر رأيه:01- التفريق بين طرق ثبوت الأمور الشرعية في العبادة والمعاملة, وبين طرق ثبوت الأمور العادية, وساق لذلك نماذج منها ثبوت أوقات الصلاة, وطهارة الماء, وصيام رمضان وفطره, والحقوق المالية وغيرها, والعيوب.. وأن ما عينته الشريعة طرقا لإثبات أسباب التكاليف رعياً لأهميتها لا يجوز تعديها بقيامها على الأمور العادية وإن حصل بها الاطمئنان، وعلق على ذلك بقوله: (وهذا من مزالق الخطأ الذي تزل فيه أقدام كثير من الناس).[2]

2- أن طريق ثبوت رمضان من قبيل الشهادة, وهو إن كان فيه شائبة الرواية وشائبة الشهادة؛ فقد غلب عليه عند مالك شائبة الشهادة. وأكد تبنيه لهذا الرأي بقوله:(والمشهور من مذهب مالك وعامة أصحابه عدا ابن الماجشون وهذا الذي نتقلده في الفتوى).[3]

3- أن ما به العمل بالقطر التونسي في أمر الصوم والفطر مذهب الإمام مالك رحمه الله . قال:(وكان المعيّن لإجراء أعمال الرؤية وثبوت الشهور هو قاضي

---

1 – ينظر: عبد الباقي بن يوسف الزرقاني, شرح الزرقاني على مختصر سيدي خليل, ومعه حاشية محمد بن الحسن بن مسعود البناني (الفتح الرباني فيما ذهل عنه الزرقاني) ضبط وتصحيح عبد السلام محمد أمين, ط1(بيروت, دار الكتب العلمية, 1422هـ – 2002م), ج2ص343- 344.

2 – محمد الطاهر بن عاشور, الفتاوى, ص304.

3 – محمد الطاهر بن عاشور, الفتاوى, ص304.

المالكية مع وجود قاض حنفي بالحاضرة، وكان ثبوته عند القاضي المالكي موجباً للثبوت العام).[1]

4- التفريق بين الثبوت العام والثبوت الخاص, وما يحصل به كل منهما, وما يترتب عليه من الأحكام[2].

5- صَدّر سوقه للخلاف في مسألة نقل الرؤية بالقائلين باشتراط العدلين تأكيداً على تشهيره واعتماده له. فقال فيه:(فالذي ذهب إليه الشيخ أبو عمران الفاسي، وابن رشد في المقدمات، وخليل في التوضيح، وبهرام في الشامل، وابن فرحون في شرح مختصر ابن الحاجب، وهو ظاهر مختصر خليل أنه لا بد أن يكون الناقل للقاضي عن الشهادة المستفيضة عدلين).[3] ثم أتبعه بالرأي الثاني وأن أساسه اعتبار الثبوت من باب الخبر لا الرواية فقال:(وقال أحمد بن ميسر يقبل العدل الواحد في النقل عن الشهادة المستفيضة، ويثبت به الشهر عند القاضي، واختاره الشيخ ابن أبي زيد وابن يونس والباجي، وجعلوه من باب الخبر لا من باب نقل الشهادة)[4]. ليذيله باختياره للأول اعتمادا وفتوى, قائلا:(والذي نتقلده ونفتي به أنه أرجح القولين الجاري على قواعد المذهب هو قول أبي عمران وموافقيه).[5]

الفرع الخامس: توجيه في الخلاف: تأسس الخلاف في مسألة ثبوت الهلال على قاعدة مختلف فيها يُبقي الخلاف قائما في ثبوته, وفي نقله بوسائل التواصل والإعلام, وإن كان الترجيح أساسه خبر أو قياس كما قال الإمام القرافي, فإن الشيخ باي بن عمر رحمه الله أسس ميله لما قال به على الأحاديث التي صرحت

1 -محمد الطاهر بن عاشور, القتاوى, ص304.

2 - محمد الطاهر بن عاشور, القتاوى, ص305- 306.

3 - ينظر: محمد بن الحسن بن مسعود البناني, الفتح الرباني فيما ذهل عنه الزرقاني, مطبوع على هامش شرح الزرقاني على الموطأ, ج2ص343- 344.

4 - محمد بن الحسن بن مسعود البناني, الفتح الرباني فيما ذهل عنه الزرقاني, مطبوع على هامش شرح الزرقاني على الموطأ, ج2ص343- 344.

5 - محمد الطاهر بن عاشور, القتاوى, ص307.

باكتفاء النبي صلى الله عليه وسلم بخبر الواحد, وإعمالا لقاعدة الاحتياط في القربات, ولكونه رأي جمهور الفقهاء[1].

وإن كانت القربات تترفع عن إجرائها على عوائد الناس, وأنّ طرق ثبوت الأمور الشرعية في العبادة والمعاملة غير طرق ثبوت الأمور العادية, واتقاءً لتعريض العبادات إلى ظهور ما يناقضها من تبين كذب المخبر أو توهمه بقدر الإمكان, اجتهد الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في وضع الضوابط والقيود لثبوت الهلال ونقل الخبر عن طريق وسائل الاتصال بما يدفع المحاذير التي صدر بها فتواه, وختمها بمسحته المقاصدية: فينبغي التيقّظ والتثبت في ذلك لئلا يصبح أمر المسلمين فوضى، ولئلا يتسور على الخطط الشرعية من ليس من أهلها[2].

خاتمة:

- قدسية الشعائر الدينية تقتضي إحاطتها بسياج يجنبها الدعاوى والتقولات, وينأى بها عن أن يتكلم فيها ويقرر فيها من ضعفت ديانتهم وتهلهلت أمانتهم وثقتهم.
- تختلف وجهات نظر المجتهدين في التعامل مع النصوص التي ظاهرها التعارض بين من يسعى للترجيح جهده بناء على قواعد الترجيح التي نص عليها علماء الأصول, وبين من يسعى إلى إعمال الأدلة ما استطاع ما دام الإعمال ممكنا, وتختلف أنظارهم, وبالتالي اجتهاداتهم.
- الاختلاف في اعتبار ثبوت الهلال ونقله من باب الشهادة أو الرواية من المسائل التي وردت فيها أدلة شرعية يتعضد بها كل رأي؛ لذلك مال إلى كل رأي فريق من العلماء, واختلفت فيها أنظار العلماء حتى داخل المذهب, وذاك ما قرره الشيخان: محمد باي بن عمر, ومحمد الطاهر بن عاشور, حين نصَّا على

1 – محمد باي الكنتي, السنن المبين, ج4ص159.

2 – محمد الطاهر بن عاشور, الفتاوى, ص309

الخلاف في المسألة, ومن قال منهم بكل رأي, ومن سلك منهم مسلك الجمع بين الأدلة بدل الترجيح, ففرق بين الثبوت الخاص والثبوت العام.

- ما اعتمدته بلادنا الجزائر من تشكيل لجان قاعدية على مستوى البلديات ولجان ولائية على مستوى مديريات الشؤون الدينية ولجنة وطنية, وما درجت عليه من اجتماع دوري لمناقشة المسألة وانتظار تقارير اللجان الولائية والقاعدية, واعتماد الإعلان الرسمي في وسائل الإعلام المعتمدة كلها مُعَضِّدَات لاعتماد كونه من قبيل الشهادة لا الرواية, وهو المعتمد في المذهب, وإن كان ذلك قد يغيب في بعض الممارسات العملية.
- ما مال إليه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور من تفريق بين الثبوت الخاص فيعتبر فيه الخلاف, والثبوت العام فيُلْتَزَم فيه العدلان أو الاستفاضة له وجاهته في التوفيق بين الأدلة, والتفريق بين ما يلزم المكلف وأهله, وما يعم المجتمع, وإن كان الشيخ محمد الطاهر مال إلى اعتبار العدلين في الحالتين, فإنه صرح بأن قبول خبر العدل فيما كان من قبيل الخاص مشهور أيضا في المذهب. وفي تعليق ابن الشاط على كلام القرافي إشارة بديعة في توجيه المسألة حيث قال:(وَالَّذِي يَقْوَى فِي النَّظَرِ أَنَّ مَسْأَلَةَ الْهِلَالِ حُكْمُهَا حُكْمُ الرِّوَايَةِ فِي الِاكْتِفَاءِ بِالْوَاحِدِ، وَلَيْسَتْ رِوَايَةً حَقِيقَةً وَلَا شَهَادَةً أَيْضًا، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ نَوْعٍ آخَرَ مِنْ أَنْوَاعِ الْخَبَرِ، وَهُوَ الْخَبَرُ عَنْ وُجُودِ سَبَبٍ مِنْ أَسْبَابِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَلَا خَفَاءَ فِي أَنَّهُ لَا يَتَطَرَّقُ إلَيْهِ مِنْ الِاحْتِمَالِ الْمُوجِبِ لِلْعَدَاوَةِ مَا يَتَطَرَّقُ فِي فَصْلِ الْقَضَاءِ الدُّنْيَوِيِّ)[1].

والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن حجر العسقلاني, التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير, ط1(مؤسسة قرطبة, 1416هـ- 1995م) 4 أجزاء.

1 – ابن الشاط, إدْرَار الشُّرُوقِ عَلَى أَنْوَاءِ الْفُرُوقِ, مطبوع مع كتاب الفروق, ج1ص08.

2. ابن غازي, تكميل التقييد, مخطوط, مكتبة أنزجمير, رقم69, 3أجزاء.
3. أبو الوليد ابن رشد, بداية المجتهد ونهاية المقتصد, تحقيق فريد عبد العزيز الجندي, ط(القاهرة, دار الحديث, 1425هـ- 2004م) مجلدان.
4. أبو عبد الله محمد بن يوسف المواق, التاج والإكليل لمختصر خليل, بهامش شرح الحطاب, ضبط وتخريج زكريا عميرات, ط1(لبنان, دار الكتب العلمية, 1416هـ - 1995م) 8أجزاء.
5. أبو محمد سعيد هرماس, طبقات المالكية الجزائريين خلال المائة الهجرية الأخيرة, ط1(غارداية, دار صبحي للطباعة والنشر, 2013م) جزء.
6. أحمد بن البشير القلاوي الشنقيطي, مفيد العباد سواء العاكف فيه والباد, ط1(أبو ظبي, المجمع الثقافي, 1999م) جزء.
7. أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي, المجتبى من السنن, تحقيق عبد الفتاح أبي غدة, ط2(حلب, مكتب المطبوعات الإسلامية, 1406هـ - 1986م)9
8. أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني, بلوغ المرام من أدلة الأحكام, تصحيح وتعليق محمد حامد الفقي, ط(مصر, دار النهضة للطباعة والنشر, 1352هـ) جزء
9. أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني, إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري, ط7(مصر, المطبعة الكبرى الأميرية، 1323 هـ) 10أجزاء
10. أحمد بن يحي الونشريسي, المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب, تخريج محمد حجي وجماعة, ط(بيروت, دار الغرب الإسلامي, 1401هـ- 1981م) 13جزءا.
11. بلقاسم الغالي, شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره, ط1(بيروت, دار ابن حزم, 1417هـ - 1997م) جزء.
12. خليل بن إسحاق المالكي, التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب, ضبط وتصحيح أحمد عبد الكريم نجيب, ط1(مصر, دار نجيبويه للطباعة والنشر, 1429هـ- 2008م) 9أجزاء.
13. خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي, الأعلام, ط15(بيروت, دار العلم للملايين, 2002م) 8أجزاء.
14. شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي, نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج, ط(بيروت, دار الفكر،1404هـ/1984م) 8 أجزاء, ج3ص152.
15. شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد القرافي, أنوار البروق في أنواء الفروق, ط(بيروت, عالم الكتب, بدون) 4أجزاء,

16. عبد الباقي بن يوسف الزرقاني, شرح الزرقاني على مختصر سيدي خليل, ومعه حاشية محمد بن الحسن بن مسعود البناني, ضبط وتصحيح عبد السلام محمد أمين, ط1(بيروت, دار الكتب العلمية, 1422هـ – 2002م)8أجزاء.

17. عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي, الأشباه والنظائر, ط(بيروت, دار الكتب العلمية, 1403هـ)جزء واحد.

18. عبد المجيد محمود الصلاحين, مفردات المذهب المالكي في العبادات دراسة مقارنة, ط1(بيروت, دار ابن حزم, 1426هـ– 2005م) مجلدان.

19. عقبة كنته عابدين بن عبد الله, ترجمة محمد باي الكنتي, محاضرة من 08 صفحات, ألقيت بملتقى أعلام قبيلة كنتة ببلدية زاوية كنتة عام 2011.

20. محمد أحمد عليش, فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك, ط(بيروت, دار الفكر, بدون) جزآن

21. محمد الحبيب ابن خوجة, شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور, ط(قطر, وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية, 1425هـ – 2004م) 3أجزاء.

22. محمد الطاهر بن عاشور, فتاوى الشيخ الإمام محمد الطاهر بن عاشور, تحقيق محمد بوزغيبة, ط1(دبي, مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث, 1425هـ– 2004م) جزء.

23. محمد الطاهر بن عاشور, كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ, تحقيق طه بن علي بوسريج التونسي, ط4(تونس, دار سحنون للنشر والتوزيع, 1432هـ–2011م) جزء.

24. محمد باي بلعالم, قبيلة فلان بين الماضي والحاضر وما لها من العلوم والمعرفة والمآثر, (الجزائر, مطبعة دار هومه, 2004م) جزء.

25. محمد باي بن عمر الكنتي, السنن المبين بتحقيق مالك كرشوش والشيخ حيمد الكنتي, ط1(الجزائر, مركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث, 1432هـ–2011م) 6أجزاء.

26. محمد باي بن عمر الكنتي, السنن المبين من كلام سيد المرسلين, تحقيق يحي ولد سيد احمد, ط(الجزائر, دار المعرفة, 2011م) 6أجزاء.

27. محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الرهوني, حاشية الرهوني على شرح الزرقاني على مختصر العلامة خليل, ط1(مصر, المطبعة الأميرية, 1306هـ) 8أجزاء.

28. محمد بن بادي, التعريف بالشيخ باي الكنتي, ورقة مخطوطة, مكتبة الشيخ هيدة الكنتي.

29. محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي, صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان, تحقيق شعيب الأرنؤوط. ط2(بيروت, مؤسسة الرسالة, 1414 – 1993) 18 مجلدا.

30. محمد بن خلفة الوشتاني أبو عبد الله الأبي, إكمال إكمال المعلم شرح صحيح مسلم, ط1 (بيروت, دار إحياء التراث العربي, 1412هـ– 1991م) 5 أجزاء.

31. محمد بن عبد الله الخرشي المالكي, شرح مختصر خليل, ط(بيروت, دار الفكر, بدون) 8 أجزاء.
32. محمد بن عيسى الترمذي, سنن الترمذي, تحقيق وتخريج أحمد محمد شاكر, ط2(مصر, شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركائه,1395هـ-1975م) 5أجزاء.
33. محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومي البابرتي, العناية شرح الهداية, ط(بيروت, دار الفكر, بدون) 10 أجزاء.
34. مسلم بن الحجاج, المسند الصحيح, تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي, ط1 (بيروت, دار إحياء التراث العربي, 1412هـ- 1991م) 5 أجزاء.
35. موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي, المغني, ط(مصر, مكتبة القاهرة, 1388هـ - 1968م, دون) 10 أجزاء.
36. يحي ولد سيد احمد, ديوان الصحراء الكبرى المدرسة الكنتية والقصائد النيرات, ط(الجزائر, وزارة الثقافة, 2009م) 6أجزاء.